الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات أدبية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة التاسعة: فن القصة

لم تستقر القصة على مدلول ثابت فهي عند البعض تدل على مشتملات الفن القصصي بعامة، و عند البعض الآخر تدل على نوع معين من أنواع هذا الفن؛ إذ تتوسط الرّواية والأقصوصة من حيث الطول، وعلى العموم فالقصّة « فن نثري يتّخذ له طريقة حكي معيّنة لمجموعة من الأحداث بين شخصيّات مختلفة يراعى فيها عنصر التّشويق الذي تزيده العقدة إثارة، وبعدها يأتي الحل نهاية لجميع ما أثير من أزمات القصّة ».

القصة في الأدب العربي القديم:

ثمة ما يؤشر إلى وجود أثر لفن القص في الأدب العربي، وهذا الأثر قسمان **أولاهما** مترجم دخيل مثل حكايات (ألف ليلة وليلة) وعجائبية سحرها الشرقي وخيالها الفسيح وقصص(كليلة ودمنة) على لسان الحيوان، والمنقول نصا عن اللغة الفهلوية دونما إغفال لأصولها الهندية، والتي كان لها تأثيرها في الأدب العربي. و**ثانيهما** قصص عربي أصيل كالمقامات مثلا ومعناها (المجلس)، ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على شكل قصة، يرويها راو عن شخصية تؤدي دور البطولة قد يكون فيها ناقدا اجتماعيا أو سياسيا أو فقيها أو بليغا، متخذا من التسول والتكدي وسيلة لتحقيق مآربه، ومن أمثلتها مقامات الحريري وبديع الزمان الهمذاني، وكان يمكن أن يحقق هذا الجنس طفرة في فن الترسل لولا أسلوبها المتكلف وزخرفها اللفظي المبالغ فيه.

وإلى جانب هذا النوع نجد كذلك رسالة الغفران لأبي العلاء المعري في رحلة تخيلها في الدار الآخرة انبت على محاورات مع أهل الجنة من جهة وأهل النار من جهة، مع تضمينها مسائل متعددة مثل العقاب والثواب والغفران وكثيرا من المسائل الأدبية واللغوية التي يوردها في موضع الساخر تارة والناقد اللغوي تارة أخرى، لذا اكتسبت الرسالة طابعا خاصا قائما على روح المغامرة الغيبية الذهنية. أما قصة حي بن يقظان لابن طفيل فتأسست على التفسير والتبرير والإقناع برؤى فلسفية وطابع وجودي بقالب قصصي بأسلوب منطقي تجريدي، لبيان أهمية العقل ودورها في الوصول إلى حقيقة الوجود والموجودات، انطلاقا من عنصر الطبيعة بما هو كتاب مفتوح لاكتشاف الحقيقة.

القصة في العصر الحديث:

في عصر النهضة، وبتأثير من عوامل متعددة تاريخية وجغرافية، خطا القصص خطوات واضحة، واتجه اتجاهات مختلفة متدرجا بين طرفين متقابلين إحداهما محافظ يستلهم التراث ويتأثر بقوالبه، والآخر تجديدي يحاكي قصص الغرب وينسج على منواله، وبينهما وجدت ألوان أخرى تختلف باختلاف أصحابها وثقافتهم، وحسبنا أن نشير إلى بعض الاتجاهات العامة للقصة العربية.

إنّ القصّة كأخبار وأحداث تُسرد قديمة قدم الإنسان، لكنّها كفن له أصوله وقواعده، لم تظهر إلا في القرن التّاسع عشر تحت تأثير المذهب الواقعي، لأنّه قام على مبدأ أنّ الفن ينقل الواقع المعاش، وقد ازدهر هذا الفن« أواخر القرن التّاسع عشر، ووفد إلينا عن طريق الاتّصال بالآداب الغربية» في مطلع القرن العشرين بطريقة الترجمة، وقد ترافقت نشأتها وتطورها مع ازدهار الصحافة التي كان لها دور فاعل في بلورة عناصرها الفنية وأبعادها الاجتماعية، وقد تباين ميلاد هذا الفن في الأدب العربي من قطر إلى آخر، وقد كان لمصر ولبنان الرّيادة ، ومن أبرز كتاب مصر :طه حسين، توفيق الحكيم، المازني والعقاد...، أما في المغرب العربي فقد تأخر ميلاد هذا الفن إلى أواخر أربعينيات القرن العشرين، وكان السبب وراء هذا ال تّأخر ظروف الاستعمار وطبيعة المستعمر الفرنسي الذي سعى لطمس معالم الهوية الوطنية للدّول المستعمرة ، ومن أبرز من كان لهم الفضل في ميلاد هذا الفن في المغرب العربي :عبد المجيد بن جلون في المغرب، ومحمد لعروسي المطوي، والبشير بن سلامة في تونس، أ وحمد رضا حوحو، أ وحمد بن عاشور، أ وبو العيد دودو وعبد الحميد بن هدوقة، الطّاهر وطار في الجزائر، وقد اكتملت القصّة فنيا في المغرب العربي بعد ستينيات القرن العشرين.

اتجاهات القصة العربية:

بدأ الأدب العربي متأثرا بالأجناس القصصية المأثورة في الأدب العربي القديم وبخاصة جنس المقامة مثل (حديث عيسى بن هشام) لمحمد المويلحي والتي يمكن عدها قصة تهدف بطابعها الاجتماعي إلى كشف طائفة من عيوب المجتمع وسلوكات أفراده بطريقة تهذيبية. ويتضح من أول وهلة، عند البحث عن علاقة ما كتبه المويلحي بالمقامة، أن اسم القصة الذي جعله المؤلف عنوانا لهذا العمل وهو عيسى بن هشام هو نفس الاسم الذي اتخذه بديع الزمان الهمذاني لراوية مقاماته، وكذا اشتراك العملين في استخدام السجع في لغة السرد وآلية الوصف من جهة، وعدم استمرار الشخصيات واختفاء كثير منها بانتهاء الفصل الذي يتحدث عنها من جهة أخرى، مع جنوح إلى الأسلوب المرسل المبتعد عن الزخارف اللفظية في بعض من أجزاء الكتاب. والحقيقة أن اشتراكهما في تلك العناصر بما فيها من محاكاة وتقليد لا يعني عدم وجود مواطن اختلاف بين العملين؛ لأفضلية السابق على المسبوق زمنيا واستفادته منه فنيا حتى جعلته أقرب ما يكون إلى العمل القصصي بمفهومه الحديث، ومن تلك المواطن أن المقامة تتناول موقفا بسيطا أو حدث،

والبطل عادة رجل من الشطار يدور حوله الفكرة المحورية، ولا تحس فيه بنمو الشخصية ولا ترى معه تطورا للأحداث ثم إن المقامة تتضمن كما من غريب اللفظ والمترادفات التي تلف بالسجع لتخفيف وقعها وتيسير حفظها .أما عمل المويلحي فقصة طويلة بمعالم واضحة وفق تطور ينتهي بنهاية مقنعة، يحرك أحداثها شخصيات متنوعة اعتمادا على عناصر فنية كالتشويق والمفاجأة والعقدة والحل على الرغم من اشتمالها على بعض العيوب الفنية مثل التزام السجع في السرد والوصف، وعدم الترابط بين بعض الفصول بشكل فني كاف.

وتتفق قصة(ليالي سطيح) لحافظ إبراهيم في هدفها مع قصة المويلحي فقد قصد إلى نقد المجتمع واصلاحه بحثا عن دور للأدب يمكن أن يضطلع به في واقع المجتمع بتحولاته ومشكلاته، فاتجه إلى تصور رحلة داخل المجتمع كي يتمكن من تشخيص أدوائه ومعضلاته.

وفي الطور الثاني أخذ الفن القصصي مع نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بدأ الوعي الفني ينمي جنس القصة بالاتجاه صوب الآداب الأخرى، بالاعتماد على تعريب موضوعات القصص الغربية بما يتماشى وأذواق القراء وجمهور المثقفين، ومن أمثلته ما قام به مصطفى لطفي المنفلوطي في أعماله القصصية حينما عمد إلى تعريب قصص بذاتها بشيء من المحاكاة لمضامينها بأسلوب بياني خاص؛ أساسه تعميق الإحساس بالمثل السامية والقيم الأخلاقية بطريقة فنية نأت بنصوصه عن سمات الكتابة المتأنقة باستعمال السجع واظهار البراعة اللفظية والجرس الموسيقي والإفراط في الترادف والإسهاب في عرض الأفكار وجلائها. ليقدم بذلك المنفلوطي نماذج قصصية وإن بدت غير ناضجة فنيا إلا أنها اتسمت ببعض بسمات انجذب نحوها فئة من القراء تحبذ هذا النوع من القص، القائم مضمونا على تصورات المنفلوطي وأفكاره كتلك التي ضمنها في كتابيه النظرات والعبرات، أو الأعمال المنقولة عن طريق ترجمتها لكن مع التصرف فيها؛ ومن ذلك الفضيلة لبول فرجيني ومجدولين لألفونس كار، وفي سبيل التاج لفرنسوا كوبيه.

عناصر العمل القصصي:

أ- الحادثة :مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظّمة على نحو خاص، وهو ما يمكن- أن نسمّيه" الإطار " plot، والإطار هو ما يعرف بالحبكة.

ب- السّرد :السّرد هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغويّة، تصوّر الأفعال في- السّرد جزئيات الواقعة في أذهاننا، ويستخدم السّرد الفني إلى جانب الأفعال العنصر النّفسي الذي يصوّر به هذه الأفعال، فالتصوير النّفسي يكسب السّرد حيوية، ويجعله أكثر تأثيرا .وللسّرد ثلاث طرائق:

1- الطّريقة المباشرة أو الملحميّة (الكاتب مؤرّخا يكتب من الخارج-)

2- طريقة السّرد الذّاتي (على لسان المتكلّم-)

3- طريقة الوثائق (تتحقق القصّة عن طريق الخطابات أو اليوميّات والوثائق المختلفة-)

4- البناء :هو طريقة التّأليف بين الوقائع ، وهناك صور متنوعة للبناء منها :الصورة الانتقائية، والصّورة البنائية العضوية.

5- الشّخصية : هناك نوعان من الشّخصيات :الجاهزة والنّامية .

6- الزمان والمكان.

7- الفكرة : فالقصة تقدم لتقرر فكرة.

المراجع المعتمدة في المحاضرة:

- ناصر بركة: النص الأدبي الحديث.
- علي الأطرش: النص الأدبي الحديث.